

ذكرى المباهلة والتصدق بالخاتم

هذه الآية المباركة تسمى بآية المباهلة، وقد نزلت بمناسبة يوم المباهلة، وهو يوم الرابع والعشرين من ذي الحجة السنة الرابعة من الهجرة. وهي من أبرز الأدلة على أفضلية وعصمة الإمام علي (ع). وهو يوم من أيام اﷺ عز وجل، وقد وردت فيه بعض المستحبات المؤكدة الدالة على عظمته. ففيه غسل مستحب وصلاة وصيام ودعاء، ولعل البعض لا يلتفت إلى بعض الأيام التي خصت فيها عبادات خاصة. ومن الايات هذه الآية تدل على عصمة وأفضلية أمير المؤمنين (ع) وعظيم منزلته. فمما أُجمع عليه في نزولها أن نصارى نجران أتوا النبي (ص) بعد أن أرسل إليهم يدعوهم للإسلام، فجاء وفدٌ من كبارهم، وتحدث مع النبي (ص). فقالوا للنبي (ص) : ما تقول في عيسى بن مريم؟ فقال: هو عبد اﷻ وكلمته. فلم يرتضوا جوابه. ثم إنهم دعوا للمباهلة، ومعنى المباهلة أن يجتمع القوم إذا ختلفوا فيقولوا: لعنة اﷻ على الظالم منا. فرضي بذلك رسول اﷻ (ص)، فجاؤوا في اليوم التالي وقد استعدوا للمباهلة ووقفوا ينتظرون مجيء النبي (ص). فلما حانت ساعة المباهلة في المكان الموعود والزمان المحدد، جاء رسول اﷻ (ص) يصطحب معه علياً وفاطمة الزهراء والحسن والحسين، صلوات اﷻ عليهم أجمعين. وكان جبريل قد نزل قبل ذلك بالآية المذكورة. فلما رأوا رسول اﷻ (ص) بهذه الهيئة شعروا بالهيبة والرهبة، فمن حضر للمباهلة ويحضر معه أقرب الناس إليه يعني أنه واثق تماماً من كونه على الحق. فقال بعضهم لبعض: إنا نرى وجوهاً لو أقسم بها محمد على اﷻ أن يزيل جبلاً من مكانه لفعّل. فلا تباهلوهم فتهلكوا فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ منكم إلى يوم القيامة. وبذلك تراجعوا عن المباهلة وطلبوا من النبي (ص) أن يبقى كلٌّ من الطرفين على دينه، فرفض ذلك إلا أن يسلموا، فيكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم. فلم يقبلوا بذلك. فقال لهم النبي (ص): إذن أنا جزكم. ثم إنهم بعد أخذ وردّ تصالحوا مع النبي (ص) بأن يدفعوا لرسول اﷻ (ص) في كل سنة ألفي حلّة وثلاثين درعاً، ألفاً في شهر رجب وألفاً في شهر صفر، تضاف لبيت مال المسلمين. وهذه الآية المباركة فيها الكثير من المضامين العالية، وأول من استشهد بها هو علي بن أبي طالب (ع) عندما تنازعوا أمر الخلافة. فعلي (ع) بنص الآية الشريفة هو نفس رسول اﷻ (ص) ما عدا النبوة وما خرج بدليل خاص. وهنالك موقف آخر استشهد فيه الإمام الرضا (ع) بهذه الآية إذ قال له المأمون: هل هنالك دليل واضح في القرآن على أفضلية علي؟ فقال الإمام (ع): مما أجمعت عليه الصحابة أن قوله تعالى: **وَإِن تَرَوْهُ فَقُسِّدْهُ وَأَلْحِقْهُ بِالَّذِينَ كَفَرُوا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ** نزلت في رسول اﷻ وعلي، ولم يخرج رسول اﷻ (ص) إلا بعلي من بين جميع الصحابة وهم كثر. ففي الآية تصريح واضح أن الإمام علي (ع) هو نفس رسول اﷻ

(ع) مع فارق النبوة، فكل ما لرسول الله ﷺ لعلني، إلا ما خرج بدليل. هذا ما يخص آية المباهلة ومناسبة نزول الآية. وهناك مناسبة أخرى وهي تختص بالامام علي (ع) وهي في اليوم الرابع والعشرين من شهر ذي الحجة، وهي آية التصديق بالخاتم. قال تعالى: ﴿إِنزَامًا وَلِيُكْمِّكُمْ﴾^١ ﴿وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾. [المائدة: 55]. وسبب نزولها أن رهطاً من اليهود دخلوا الإسلام، فجاؤوا لرسول الله ﷺ (ص) فقالوا له: يا رسول الله ﷺ، إن موسى (ع) أوصى إلى يوشع بن نون، فمن وصيك وولينا بعدك؟ فنزلت هذه الآية. فقال لهم: قوموا بنا إلى المسجد، فتوجهوا إلى هناك، وإذا بسائل خارج من المسجد، وكان علي (ع) يصلي فيه، ثم خرج وهو فرح مستبشر، فسأله رسول الله ﷺ (ص): هل أعطاك أحدٌ شيئاً. فقال: نعم. قال: من؟ فأشار إلى علي (ع). وكان علي (ع) منشغلاً بالصلاة. فقال: كيف أعطاك؟ قال: أعطاني وهو في ركوعه. فكبّر رسول الله ﷺ (ص) وكبر من كان معه، ومن كان في المسجد، وقرأ هذه الآية المباركة، وهي كذلك من الآيات المهمة في الاستدلال على ولايته صلوات الله وسلامه عليه. ثم قال (ص): عليٌّ وليكم من بعدي. ثم نزل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّنا﴾^٢ ﴿وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾^٣ فَإِنَّ حِزْبَنا هُمُ الْغَالِبُونَ. [المائدة: 56]. هذا ما أردنا أن نذكره باختصار مما يتعلق بالمناسبتين المذكورتين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.